

النثر الجاهلي:

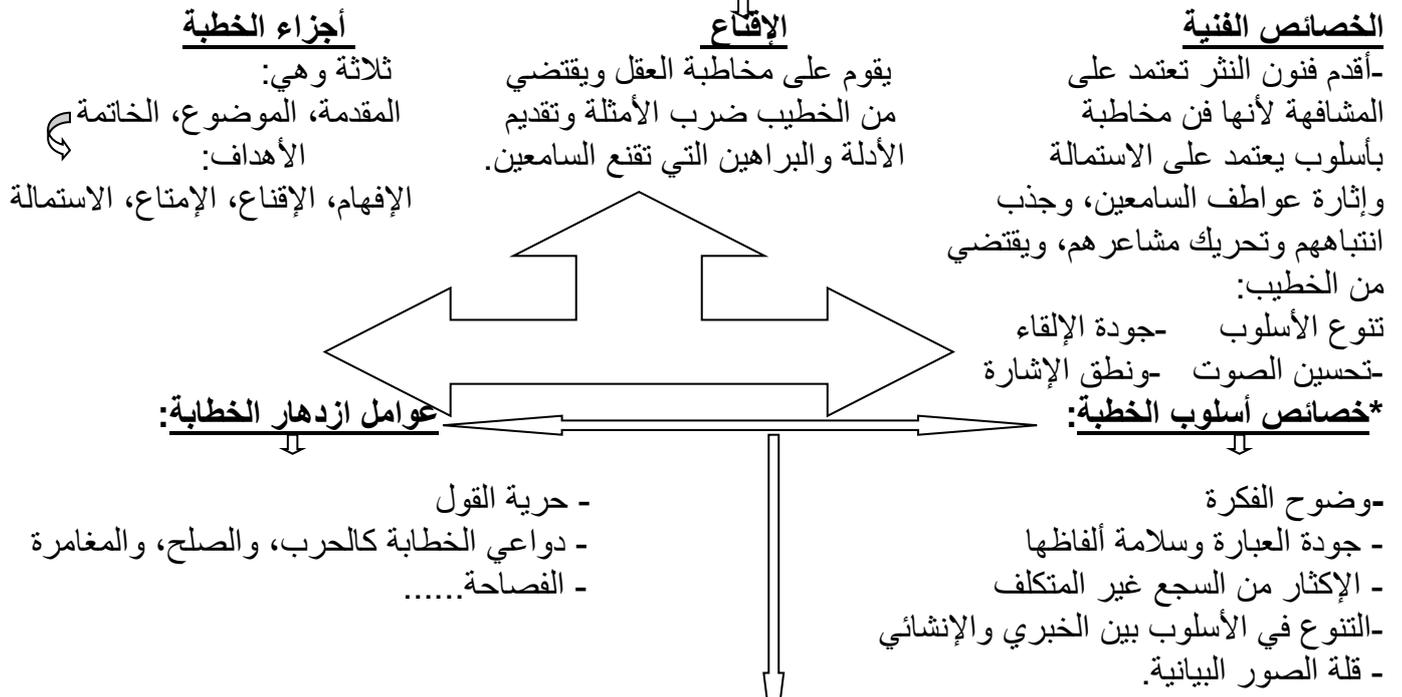
أسباب قلة النثر الجاهلي:

بنى العرب مجدهم الأدبي، في العصر الجاهلي، على الشعر. ومع أن الكتابة كانت معروفة لهم - فإن ما وصل إلينا من نثرهم قليل جداً، بالنسبة لما روي من الشعر، ولعل الأسباب الثانوية وراء ذلك تكمن في:

- سهولة حفظ الشعر لما فيه من إيقاع موسيقي.
- الاهتمام بنبوغ شاعر في القبيلة يدافع عنها ويفخر بها.
- تفشي الأمية في الجزيرة العربية، وعدم التدوين.

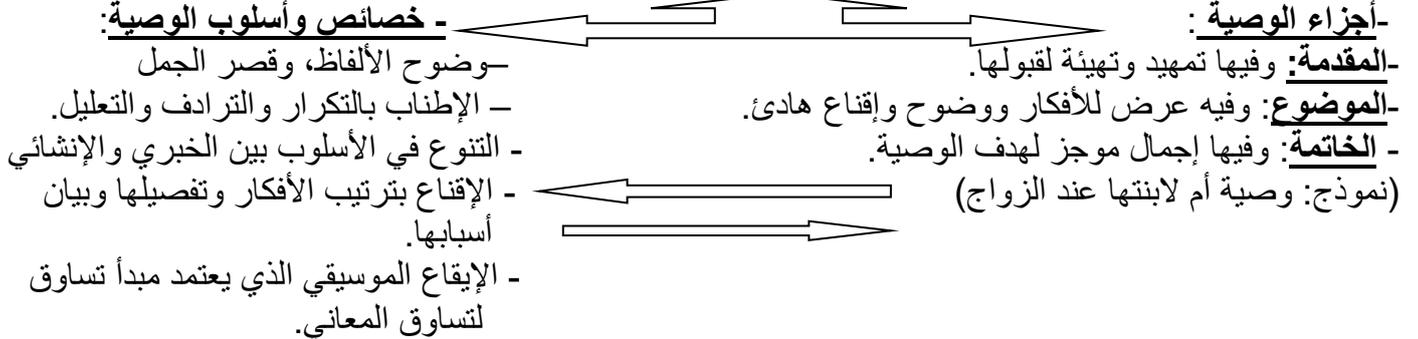
ومع ذلك وصل إلينا من النثر، الجاهلي، قدر يكفي لاستنباط خصائصه الفنية؛ وليس المراد بالنثر الجاهلي هنا ذلك النثر العادي الذي يتخاطب به الناس، وإنما المراد به النثر الأدبي أو الفني الذي يُعنى صاحبه بتجويده، وإتقانه لينال إعجاب القارئ، من حكمة تقال، أو قصة تروى، أو مثل يضرب، أو خطبة تلقى، أو رسالة تدبج، أو وصية بليغة تنقل. مثل هذا النثر الفني، قليل الوجود بين أيدينا بلفظه الأصلي الذي صدر عن أصحابه، لأن حفظ النثر أصعب من حفظ الشعر.

الخطابة



الوصية:

التعريف: هي قول حكيم صادر عن مجرب حنكته التجارب، يوجه إلى من يحب لينتفع به.



ويتجلى الفرق بين الخطبة والوصية في:

- الخطبة: هي فن مخاطبة الجماهير لاستمالتهم وإقناعهم
- أما الوصية: فهي قول حكيم لإنسان مجرب، يوصي به من يحب لينتفع به في حياته.

الأمثال والحكم:

تعريف المثل: قول موجز سائر على الألسنة، وارد في حادثة أو مستمد من ملاحظة في البيئة، ويضرب المثل في موقف يشبه الحالة التي ورد فيها مع المحافظة على لفظ المثل وضبطه، وهذا يسمى: (مضرب المثل)، ولذلك فكل مثل له مورد ومضرب.

الخصائص الفنية للمثل:

- إيجاز اللفظ .
- قوة العبارة .
- دقة التشبيه .
- سلامة الفكرة مع الإيجاز

أنواع المثل:

- أ- بعض الأمثال يرتبط بحادثة واقعية .
- ب- بعض الأمثال يرتبط بقصة خيالية .
- ج- بعض يمثل منهجا معيناً في الحياة كقولهم: (إن الحديد بالحديد يفل)

أسباب انتشار المثل وذيوع في الجاهلية:

-إنها بيئة فطرية تغلب فيها الأمية، وتشد الحاجة إلى التجارب المستخلصة في أقوال لها معنى صادق.
-يرتبط المثل بحادثة أو حكاية تساعد على انتشاره.
- تصاغ الأمثال، غالباً، في عبارة حسنة، يظهر فيها دقة التشبيه بين المورد والمضرب، وذلك ما يرضي ذوق العربي.
- مرآة تنعكس عليها صورة الحياة الاجتماعية والسياسية و.....
- تعبر عن عامة الناس لصدورها بدون تكلف.
- لأنها مرتبطة بالبيئة وما يمور فيها من حرب وصلاح ومفاوضات.
- تعبر عن صفات العرب وأخلاقهم وعاداتهم.
- ترتبط بحياتهم وأحداثها، وتعبر عن طرق تفكيرهم، ولذلك تنوعت الأمثال من أمة إلى أخرى، تبعاً لاختلاف البيئة والثقافة، واختلاف العصور. (آخر الداء الكي، وأول الشجرة النواة).....
تعريف الحكمة: قول موجز مشهور صائب الفكرة رائع التعبير، يتضمن معنى مسلماً به، يهدف إلى الخير والصواب، وتعبر عن خلاصة وخبرات وتجارب صاحبها في الحياة.
وتتفق الحكمة مع المثل في:

وتختلف الحكمة عن المثل في أمرين: ← لا ترتبط في أساسها بحادث أو قصة.

أنها تصدر غالباً عن طائفة خاصة من الناس لها خبرتها وتجاربها وثقافتها.

أسباب انتشار الحكمة وذيوعها في الجاهلية:

-اعتمادها على التجارب واستخلاص العظة من الحوادث، ونفاد البصيرة والتمكن من الأساليب البلاغية.
-الحكمة قول موجز يقوم على فكرة سديدة، وتكون بعد تأمل وموازنة بين الأمور، واستخلاص العبرة منها، ولذلك فهي تعبير عن الرأي والعقل. (مصارع الرجال تحت بروق الطمع)، (أدب المرء خير من ذهبه).....

المنافرات: وهي مفاخرات كانت تحدث بين اثنين أو أكثر من سادة العرب وأشرفهم، وفيها يشيد كل من المتفخرين بحسبه ونسبه ومجده وسجايه، أمام حكم من أشرف العرب أو كهانهم، ليكون له القول الفصل في تفضيل أحد الطرفين على الآخر. ولكن الحكم يسعى في كثير من الأحيان إلى الصلح بين المتنافرين، تفادياً للشر، ويتحاشى الحكم لأحدهما على الآخر، ويلقي عليهم كلاماً بليغاً يدعوهم إلى السلام والصفاء.

ومن ذلك ما كان من هرم ابن قطبة الفزاري، حين تنافر إليه عامر بن الطفيل وعلقمة بن علاثة بعد أن اشتد النزاع بينهما، فجعل هرم يطاولهما، ويمهد للصلح بينهما، حتى قال لهما أخيراً: «أنتما كركبتي البعير، تقعان إلى الأرض معاً وتقومان معاً». «فرضياً بقوله وانصرف كل منهما إلى قومه. واشتهر من هؤلاء الحكام أيضاً: ربيعه بن حذار، والأقرع ابن حابس، ونفيل بن عبد العزى، وهاشم بن عبد مناف .

وربما جرت **المنافرة بين قبيلتين:** كربيعة ومضر، أو قيس وتميم. وهذا ما يحيل المنافرة إلى صورة من صور الخطابة، إذ يقف كل سيد ليعدد مآثر قومه أمام الحكم، بحضور سادة القبائل وأشرفها ويحاول التأثير في السامعين ليحوز الإعجاب والحكم له بالغلبة على خصمه. وإذا فصل الحكم بين المتنافرين، سجع في كلامه حيناً، وأرسله حيناً آخر. وهو يحرص على السجع والقسم ولاسيما إذا كان من الكهان .

سجع الكهان: والكهّان عند العرب طائفة ذات قداسة دينية، وسلطان كبير لدى القبائل، شأنهم شأن الحكام في المنافرات. وكانوا يزعمون الإطلاع على الغيب، وأن لكل منهم رثياً - أي صاحباً من الجن - يعرف الكاهن عن طريقه ما سيكون من أمور. وكان الناس يتوافدون على هؤلاء الكهّان من مختلف الجهات فيحكّمونهم في منازعاتهم، ويستشيرونهم في أمورهم الخاصة وما يزعمونه من أعمال، أو ما يرونه في منامهم من أحلام. وكانوا يستخدمون في أحكامهم وأقوالهم ضرباً من النثر المسجوع عرفوا به .

وقد ظهر في العرب عدد من هؤلاء الكهان، وفيهم من كانوا حكماً في المنافرات أيضاً. ومنهم: سطيح الذئبي، وشق الأنماري، وسلمة بن أبي حيّة، المشهور باسم عَزَى سلمة، وعوف الأسدي، بل كان فيهم نساء كاهنات أيضاً، من أمثال: فاطمة الخثعمية، وطريفة اليمينية، وزبراء .

ويلاحظ في نصوص الكهان أنها تحمل طابع التكلف الشديد في سجعها ولهذا لا يطمأن إليها كلها، فربما شاب بعضها الوضع والنحل، وربما كان بعضها محفوظاً صحيحاً، لقصره وإيجازه .

ومن خصائص أسجاع الكهان أنها - في جملتها - كلام عام، لا يرشد السامع إلى حقائق جلية، وإنما يضعه في الغموض والإبهام، باصطناع السجع، والإيماء، وقصر الجمل لإلهاء السامع عن تتبع ما يلقي إليه من الأخبار العربية، وجعله في حالة نفسية مضطربة تساعد الكاهن على الوصول إلى ما يريد، بكل سهولة ويسر، ويكون المخاطب، بتلك الإشارات الغامضة، والألفاظ المبهمة، والأقسام المؤكدة، والأسجاع المنمقة، مستعداً لقبول كل ما يقال له، بلا جدال أو اعتراض، وتأويل ما يسمعه بحسب حالته ومدى فهمه .